الإمكان العقلي لمعجزة الإسراء والمعراج القرآنية

دراسة عقدية

دكتور/حميد بن أحمد نعيجات

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم أما بعد:

فإن قصة الإسراء من أعظم الأحداث والآيات التي وقعت في صدرة دعوة النبي ﷺ، وهو بين ظهراني أهله بمكة المكرمة، وكانت لها أصداء عظيمة في أوساط قريش وسائر العرب؛ لخروجها عما اعتادوه من حساب المسافات والزمن، فاهتبلوها فرصة للتشكيك في نبي الله محمد ﷺ، وادّعوا أن ما يقوله لا يمكن لعاقل تقبله، وسفَّهوا أحلام المؤمنين به، واستطاعوا بمثل هذه الإثارات أن يدفعوا عددا من ضعاف الإيمان إلى الردة عن دين الله.

موضوع البحث

سيتناول هذا البحث بإذن الله تعالى النظر في دعاوى مشركي قريش في إنكارهم حادثة الإسراء والمعراج، هل لها وجه من النظر؟ وسأتجاوز تلك المرحلة الزمنية وصولا إلى العصر الحاضر بالنظر في دعاوى المنكرين لهذه الحادثة العظيمة، ومدى قيمتها العلمية وهل حقا تصلح معارضا مقبولا علميا لرد خبر النبي ﷺ بخصوص الإسراء أو المعراج.

مشكلة البحث

تتمثل المشكلة التي سيتم دراستها في السؤال: هل حادثة الإسراء والمعراج من محالات العقول أم من محاراتها؟ يعني: هل في العقل ما يحيل وقوعها، أو أنه يتحير في ذلك وإن لم يقل باستحالته؟

حدود البحث

سيقتصر البحث في النظر في قصة الإسراء والمعراج، وإمكانية وقوعها من عدمه، على صعيد البحث العلمي والنظر العقلي، في الفترة النبوية ابتداء، وصولا إلى العصر الحاضر.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى إبطال مزاعم القدماء والمحدثين ممن يدعي تعارض قصة الإسراء والمعراج مع الحقائق العلمية والنظر العقلي الصحيح، وإثبات أن عقول معاصري النبي ﷺ نفسها لم يكن فيها ما يحيل ما أخبرهم به ﷺ، بل على العكس عند التأمل، وعدم الاستحالة باق على مرور الزمن، بل لعله صار أكثر وضوحا.

منهج البحث

سأستعمل المنهج التحليلي النقدي، والاستقراء الجزئي لما يخص بحثي من قصة الإسراء والمعراج.

إجراءات البحث

سأراعي في بحثي الإجراءات العلمية المتبعة:

١-عزو الآيات القرآنية لموضعها من المصحف بالسورة والآية.

٢-تخريج الأحاديث والحكم عليها والاعتماد على الصحيح؛ فإن كان في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بالعزو بذكر رقم الحديث، وإن كان في غيرهما أكتفي بالمصادر التي أتوصل من خلالها لصحة الحديث، وأذكر أقوال العلماء في ذلك.

٣-توثيق النصوص المقتبسة بذكر مصادرها.

خطة البحث

اقتضى موضوع البحث تقسيمه وفق الخطة التالية:

المقدمة؛ وفيها: موضوع البحث، مشكلته، حدوده، أهدافه، منهجه، إجراءاته، خطة البحث.

تمهيد: تعريف الإسراء والمعراج.

الفصل الأول: الإسراء.

المبحث الأول: تحديد المحال والمحير في القصة.

المبحث الثاني: مواصفات الآلة التي أسري بالنبي ﷺ عليها.

الفصل الثاني: المعراج.

المبحث الأول: تحديد المحال والمحير في القصة.

المبحث الثاني: مواصفات الآلة التي عرج النبي ﷺ فيها.

تمهيد

تعريف الإسراء والمعراج.

أولا: الإسراء.

الإسراء في اللغة هو السير ليلا، يقال: سرى وأسرى بمعنى واحد، أسريت وسريت بمعنى سرت ليلا، وأسرى وسرى فلان بفلان أو أُسري وسُري به، يعني: سار به أو سير به ليلا، هذا الترادف هو الراجح[1]؛ وفي آية الإسراء ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:١]، والمعنى سَيَّرَ عبده[2]، وهذا القيد مهم سيأتي البناء عليه في البحث.

ثانيا: المعراج.

المعراج في اللغة هو آلة العروج، والعروج هو الصعود، قال ابن فارس: (العين والراء والجيم ثلاثة أصول:...الأصل الثالث: العروج: الارتقاء؛ يقال: عرج يعرج عروجا ومعرجا، والمعرج: المصعد)[3].

وقال الخليل بن أحمد: (عرج يعرج عروجا، أي: صعد، والمعرج: المصعد، والمعرج: الطريق الذي تصعد فيه الملائكة، والمعراج شبه سلم أو درجة...، والمعارج في قول الله ﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، جماعة المعرج)[4]، وقال ابن دريد: (المعراج فِيمَا زعم أهل التَّفْسِير: سَبَب تنحدر عَلَيْهِ الْمَلَائِكَة من السَّمَاء)[5].

فمعاني المعراج كلها تدور على الآلة؛ لأنها مِفعال من العروج، وهذا وزن اسم الآلة كالمسحاة والمقلاة ونحو ذلك، ولذلك كانت معانيه عند أهل اللغة تدور حول ذلك فهي: درج، شبه سلم، طريق، مصعد، وأوسعها مدلولا: سبب[6].

---

(1) انظر الإسراء والمعراج مسائل العقيدة فيهما (٤/١ فما بعدها).

(2) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٢٥/٣)، وعنه في تهذيب اللغة (٣٧/١٣)، والواحدي في الوسيط (٩٣/٣).

(3) مقاييس اللغة (٣٠٤/٤-٣٠٦).

(4) كتاب العين (٢٢٣/١).

(5) جمهرة اللغة (٤٦١/١).

(6) سيجري في طول البحث وصف البراق أو المعراج بالآلة، والمقصود هو هذه المعاني التي تدور على أداة الفعل ووسيلته، وليس بمعنى الشيء المقابل للجسم الطبيعي فهذا اصطلاح خاص محدث، فالبراق وسيلة وآلة السفر الأول الأرضي، ثم المعراج هو وسيلة وآلة السفر الثاني السماوي، وهذا كقولهم: اللغة أول آلات التفسير، وتسمية بعض العلوم بعلوم الآلة، انظر شرح كفاية المتحفظ (تحرير الرواية في تقرير الكفاية) (ص٦١٣)، لمحمد الفاسي، وقولهم: آلة العيش؛ أي: وسائله وأسبابه، انظر معجم العربية المعاصر (١٤٠/١).

فيلحظ أن العروج يكون في شيء يعرج عليه وليس مطلق الصعود والارتقاء والله أعلم.

أما تعريفهما اصطلاحا فهو لا يبعد كثيرا عن معنيهما اللغوي، بل يبنى عليهما، ويزاد فيهما بعض الألفاظ الشرعية التي تحدد العموم اللغوي.

فالإسراء اصطلاحا: هو سير جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، محمولا على دابة يقال لها البراق، في جزء من الليل، وما صحب ذلك من أحداث، وعودته من ليلته بعد العروج[1].

والمعراج اصطلاحا: صعود النبي ﷺ من بيت المقدس إلى ما وفق السموات السبع، حتى بلغ سدرة المنتهى وجاوزها، في آلة تسمى المعراج، وعودته في نفس الليلة، وما صحب ذلك من أحداث ومشاهدات[2].

الإسراء والمعراج اصطلاحا:

أما معنى الإسراء والمعراج عموما فقد أجملها ابن كثير رحمه الله بعبارة جامعة فقال: (الحق أنه عليه السلام أسري به يقظة لا مناما، من مكة إلى بيت المقدس، راكبا البراق...، ثم أتى المعراج – وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها –؛ فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السموات السبع...حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيها صريف الأقلام...ورأى سدرة المنتهى...ورأى الجنة والنار...ثم هبط إلى بيت المقدس...وعاد إلى مكة بغلس، والله سبحانه وتعالى أعلم)[3].

---

(1) مجمع من عدة تعريفات؛ انظر: تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (ص١٠٢)، وبعض التعريفات في رسالة الإسراء والمعراج ومسائل العقيدة فيهما (٢٢/١).

(2) الإسراء والمعراج ومسائل العقيدة فيهما (١٤/١)، مع ملاحظة أن جميع التعريفات التي نقلها الباحث أغفلت ذكر آلة العروج.

(3) تفسير ابن كثير (٤٣/٥)، نقلت ما يخص مسار الرحلة دون تفاصيلها وأحداثها.

الفصل الأول: الإسراء

المبحث الأول: تحديد المحال والمحير في القصة.

لما حدث الإسراء والمعراج قابله كفار قريش بالتكذيب والنكير على نبي الله محمد ﷺ، ووجدوا ذلك فرصة سانحة للنيل من دعوته، وردِّ ما جاء به؛ لاستحالة تصديقه فيما يقوله.

وبالرجوع لأحداث القصة يمكن استخراج وجه ذلك، (عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**لما كانت ليلة أسري بي وأصبحت بمكة فظعت بأمري** – يعني هبته وخفته – **وعرفت أن الناس مكذبيّ**"، فقعد منزلا حزينا، فمر به عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: "**نعم**"، قال: ما هو؟ قال: "**إنه أسري بي الليلة**"، قال: إلى أين؟ قال: "**إلى بيت المقدس**"، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: "**نعم**"، قال: فلم يُرِه أنه يكذبه، مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه، قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ فقال رسول الله ﷺ: "**نعم**"، فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي، حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثتني، فقال رسول الله ﷺ: "**إني أسري بي الليلة**"، قالوا: إلى أين؟ قال: "**إلى بيت المقدس**"، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: "**نعم**"، قال: **فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه، متعجبا للكذب زعم...**)[1].

وفي رواية أخرى عن (ابن عباس ﷺ قال: أسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم، فقال ناس: نحن نصدق محمدا بما يقول؟! فارتدوا كفارا، فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل)[2].

وخلاصة استنكارهم هي المدة القصيرة جدا التي استغرقها سفره من مكة إلى بيت المقدس ذهابا وعودة؛ حيث لم يتجاوز ليلة واحدة، بل جزءا يسيرا منها، ولهذا كان إنكارهم صريحا بسؤال: (ثم أصبحت بين أظهرنا؟!)، وجعلوا هذا مثارا للتعجب

---

(1) أحمد في المسند (٢٨/٥)، وصححه محققوه على شرط الشيخين، وصححه الألباني في الإسراء والمعراج (ص٨١).

(2) أحمد في المسند (٤٧٧/٥)، وصححه محققوه، وحسنه الألباني في الإسراء والمعراج (ص٧٥).

ومدخلا للتكذيب، وقالوا لصديقه أبي بكر الصديق ﷺ: (تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟!)[1].

وقد بقي هذا الانقسام في الموقف من حادثة الإسراء والمعراج عبر العصور المختلفة، بين أغلبية مؤمنة، وأقلية كافرة مكذبة ملحدة، أو منحرفة عن الجادة الشرعية، والضوابط الصحيحة الصريحة العقلية، قال ابن كثير رحمه الله: (حديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، **واعترض فيه الزنادقة الملحدون**)[2].

وهنا سؤال ملِحٌّ خلاصته: هل ما أخبر به نبي محمد ﷺ يحيله العقل؟ ويمنع وقوعه لعدم إمكانه في ذاته، أم يستبعده لعدم جريان العادة بوقوع مثله، بل العادة أن مثله لا يقع؟ واستحكام هذه العادة وعدم خرقها مع طول الزمن جعلها تحل محل المستحيل.

في الإجابة المجملة على هذا التساؤل يجيب القاضي عياض رحمه الله فيما نقله عنه النووي بقوله: (الحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، أنه أسري بجسده ﷺ والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل، **ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل**)[3].

ولذلك فقد اكتفى كفار قريش بالاستبعاد ولم يذكروا الاستحالة؛ حيث انتقلوا من الإنكار والتكذيب إلى المطالبة بأدلة الإثبات، بالسؤال عن صفة بيت المقدس، والمستحيل لا يطلب دليل وقوعه إلا على سبيل التعجيز، فإن ذكر الدليل فإنه لا يصدق بل يبين بطلانه ومخالفته للعقل، ورغم مجيء الجواب بأكثر مما طلبوا؛ حيث زاد على وصفِ بيت المقدس وصفَ عيرهم بأخبار لا يعرفها إلا من كان معهم في رحلتهم، لم ينفع ذلك معهم شيئا فعُلم أن فعلهم مجرد تكذيب ومكابرة.

إذن ما المحال في القصة؟ أهو انتقاله ﷺ هذه المسافة التي تقدر بحوالي ١٧٠٠كم، في جزء يسير من الليل؟ وما سبب استحالته أهو شيء في ذات الفعل؟ أم عدم جريان العادة بمثله؟

([1]) الحاكم في المستدرك (٦٥/٣)، وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وأورده الألباني في الصحيحة (٦١٥/١).

([2]) تفسير القرآن العظيم (٤٥/٥).

([3]) شرح مسلم (٢٠٩/٢).

مما لاشك فيه أن عدم جريان العادة لا يجعل الشيء محالا في ذاته، فمبدأ اختصار الوقت لنفس المسافة باستحداث وسائل جديدة واختراع طرق مبتكرة جائز عقلا وواقع فعل، قال الرازي: (حمل الآدمي في زماننا حملا في غاية الثقل أو قطعه مسافة بعيدة في زمان يسير، **فإن ذلك ممكن إمكانا بعيدا**)[١].

وبالنظر لأصناف الناس الذين عاصروا حادثة الإسراء والمعراج أو من أتى بعدهم إلى يومنا هذا، ممن ينكرها ويدعي مخالفتها للعقل واستحالة وقوعها، فهم لا يخرجون عن ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: المشركون من أهل الجزيرة يتقدمهم كفار قريش: ولا نجد لديهم شيئا يحيل وقوع الإسراء والمعراج عقلا، بل إن ثقافتهم المنتشرة في عصرهم تؤمن وتصدق بقطع مسافات كبيرة في أوقات يسيرة، من ذلك معتقداتهم الكثيرة عن الجن، قال ابن تيمية: (كثير من الناس تحمله الجن، بل شياطين الجن، وتطير به في الهواء، وتذهب به إلى مكان بعيد، كما كان العفريت يحمل عرش بلقيس من اليمن إلى مكان بعيد)[٢]، وهذا ليس خاصا بالعرب بل هو في عموم الناس، قال رحمه الله: (جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن، وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب، **وكذلك عامة مشركي العرب**، وغيرهم من أولاد الهذيل والهند، وغيرهم من أولاد حام، وكذلك جمهور الكنعانيين، واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث)[٣]، والعجيب في أمر الناس والمشركين خاصة أنهم يؤمنون بهذه الخوارق عندما تكون سببا في ضلالهم، ويجحدونها حين تكون سببا لهدايتهم، وهذا ما: (تفعله الشياطين عند الأصنام؛ فإنهم يضلّون عابديها بأنواع حتى قد يظن أن الصنم كلّمه، وقد يظهرون للسدنة أحيانا كما كانوا في الجاهلية، وكذلك يوجد عند النصارى من هذا كثير)[٤].

فما حصل لنبي الله ﷺ إن كان مما تحيله العقول فما يعتقده هؤلاء المشركون من خوارق الجن التي كانت منتشرة بينهم معروفة لديهم، وبعضها يتعلق بقطع المسافات الطويلة في الوقت اليسير أولى بالبطلان، وهذا الوجه يفيد هذا الصنف من الناس المنكرين لشيء يؤمنون بأصل إمكانه بل ووقوعه.

---

(١) تفسير الرازي (٢٩-٢٩٠).

(٢) النبوات (ص١٦٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/١٩).

(٤) الرد على الإخنائي (٤٢٤/١).

وقبل ذلك ما ذكره لهم النبي ﷺ من أوصاف دقيقة لبيت المقدس، وهم يعلمون أنه لا يكْذِب ولا خبرة له ببيت المقدس بل لم يسبق له مشاهدته والسفر إليه، ثم قطع دابر شكهم بأخبار عيرهم وقافلتهم التي لا يعلمها غير أهلها، وتفاصيل لا يمكن لمن لم يمرّ عليهم معرفتها والإخبار بها.

الصنف الثاني: الملحدون الذين لا يؤمنون بالغيب والخوارق: وللناس في بيان الإمكان لهم مسالك مختلفة:

المسالك الأول: بيان الإمكان بذكر النظائر الغيبية: قال ابن أبي العز رحمه الله: (لا يمتنع ذلك عقلا؛ ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر)[1].

هذا المسلك ولو سمي عقليا لكنه لا يخلو من أصلي نقلي مبني عليه، ولذلك يكون ألصق بالصنف الثالث الآتي قريبا، كما أن الإمكان هنا ليس بلازم لاختلاف الحالين؛ فالملائكة لهم خلقة مختلفة عن خلقة الإنسان، وما يجوز عليهم ويستحيل في حقهم يختلف عما يجوز ويستحيل على الإنسان، فقد يُسلَّم بإمكان أمر من مخلوق ما، ولا يلزم التسليم به في مخلوق آخر.

المسلك الثاني: بيان الإمكان بذكر النظائر الحسية: وذلك بالنظر لبعض المخلوقات التي يمكنها قطع تلك المسافات في الزمن اليسير كالرياح، قال الفخر الرازي: (الحس يدل على أن الرياح تنتقل عند شدة هبوبها من مكان إلى مكان في غاية البعد في اللحظة الواحدة، وذلك أيضا يدل على أن مثل هذه الحركة السريعة في نفسها ممكنة)[2]، وهذا المسلك يجاب عنه كالأول في عدم لزوم جواز أمر على مخلوق وإمكانه منه أن يجوز ويمكن من غيره.

وفي هذا يقول الرازي: (نحن إنما استدللنا بأحوال الملائكة والشياطين على أن حصول حركة منتهية في السرعة إلى هذا الحد ممكن في نفس الأمر، **وأما بيان أن هذه الحركة لما كانت ممكنة الوجود في نفسها كانت أيضا ممكنة الحصول في جسم البدن الإنساني، فذاك مقام آخر سيأتي تقريره إن شاء الله تعالى**)[3].

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٧٦-٢٧٧).

(2) تفسير الرازي (٢٠/٢٩٤).

(3) نفسه.

المسلك الثالث: بيان الإمكان بالنظر للقدرة الإلهية: قال الشيخ رحمت الله الهندي: (لا استحالة فيه عقلاً ونقلاً؛ أما عقلاً فلأن خالق العالم قادر على كل الممكنات، وحصول الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد في جسد محمد ﷺ ممكنٌ، فوجب كونه تعالى قادراً عليه، وغاية ما في الباب أنه خلاف العادة، والمعجزات كلها تكون كذلك)[1].

وهذا المسلك كذلك فيه إرجاع الأمر إلى الجانب الغيبي وهو الإيمان بالقدرة الإلهية، بل إن ابن العربي المالكي جعل النقاش معهم في الفرع (الإسراء والمعراج) قبل التسليم بالأصل (وجود الله وقدرته) مسلكا غير سديد، قال رحمه الله: (المنكر لذلك لا يخلو أن يكون ملحدا ينكر القدرة، ويرى أن الثقيل لا يصعد علوا، وطبعه استفال فما باله **يتكلم معنا في هذا الفرع، وهو منكر للأصل**؛ وهو وجود الإله وقدرته، وأنه يصرف الأشياء بالعلم والإرادة، لا بالطبيعة؟)[2].

لكن هذا المسلك لا يزيل الإشكال من جهة أن القدرة الإلهية لا تتعلق بالمستحيل، ومحل النزاع ليس فيها؛ ولكن في إمكان الحادثة من استحالتها، فمن آمن بالله كان فعله لها دليلا على إمكانها، لكن من لم يؤمن بالله وطعن في الدين بأنه يخبر بما تحيله العقول لا يكفيه هذا الجواب، بل نحتاج لبيان عدم الاستحالة بطرق أخرى سيأتي تحريرها، قال ابن تيمية رحمه الله: (واقتدر بقدرة تعلقت بممكن) وشرح الشيخ ابن عثيمين هذا فقال: (عبارة المؤلف رحمه الله: **(تعلقت بممكن)** تحتاج إلى بيان؛ فإن ظاهر كلامه أن القدرة لا تتعلق بالمستحيل، ونحن نقول: **لابد في ذك من التفصيل:**

فالمستحيل لذاته لا تتعلق به القدرة لأنه ليس موجودا، ولا يمكن أن يوجد، ولا يفرضه الذهن، كما أنه لا يمكن أن يكون الشيء متحركا ساكنا في آن واحد؛ لأنه إن كان متحركاً فليس بساكن، وإن كان ساكناً فليس بمتحرك.

أما المستحيل لغيره – يعني الذي يكون بحسب العادة غير ممكن – فهذا تتعلق به القدرة، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، **فإن كل آيات الأنبياء الكونية من هذا الباب**، فلو أن أحداً من الناس قال: أنا أضرب هذا الحجر ضربة بعصاي فينفلق اثنتي عشرة عينا، لقلنا: هذا مستحيل حسب العادة، فلو ضرب الحجر بعصا من حديد حتى يتفتت الحجر

---

(1) إظهار الحق (١٠٢٣/٤)، وقد سار الذين تلكموا عن الإعجاز العلمي في الإسراء والمعراج على هذا المنوال، كما فعل الدكتور زغلول النجار، والدكتور محمد راتب النابلسي، والدكتور صبري الدمرداش، كما في مواقعهم ومقاطعهم المرئية على النت.

(2) أحكام القرآن (١٧٨/٣).

ما أتى باثنتي عشرة عينا، لكن هذا مستحيل لغيره وليس مستحيلا لذاته؛ لأن الله تعالى جعله لموسى عليه الصلاة والسلام)[1].

المسلك الرابع: بيان أصل الإمكان العقلي ثم الإحالة على النقل في تفاصيله: قال الفخر الرازي: (الكلام في هذا الباب يقع في مقامين: أحدهما: في إثبات الجواز العقلي. والثاني: في الوقوع.

أما المقام الأول: وهو إثبات الجواز العقلي، فنقول: الحركة الواقعة في السرعة إلى هذا الحد ممكنة في نفسها والله تعالى قادر على جميع الممكنات، وذلك يدل على أن حصول الحركة في هذا الحد من السرعة غير ممتنع، فنفتقر هاهنا إلى بيان مقدمتين:

المقدمة الأولى: في إثبات أن الحركة الواقعة إلى هذا الحد ممكنة في نفسها ويدل عليه وجوه: – ذم ذكر سبعة أوجه تتعلق بالمسالك السابقة –....

المقدمة الثانية: في بيان أن هذه الحركة لما كانت ممكنة الوجود في نفسها وجب أن لا يكون حصولها في جسد محمد ﷺ ممتنعا، **والذي يدل عليه أنا بينا بالدلائل القطعية أن الأجسام متماثلة في تمام ماهياتها**، فلما صح حصول مثل هذه الحركة في حق بعض الأجسام وجب إمكان حصولها في سائر الأجسام، وذلك يوجب القطع بأن حصول مثل هذه الحركة في جسد محمد ﷺ أمر ممكن الوجود في نفسه)[2].

وهذا ردٌّ ضعيف مبني على عقيدة غير صحيحة، قال ابن تيمية: (ذُكر النزاع في تماثل الأجسام، وأن القائلين بتماثلها من المتكلمين بنوا ذلك على أنها مركبة من الجواهر المنفردة، وأن الجواهر متماثلة؛ ثم إنه في مسألة تماثل الجواهر ذكر أنه لا دليل على تماثلها، فصار أصل كلامهم الذي ترجع إليه هذه الأمور **كلاماً بلا علم، بل بخلاف الحق)**[3]، ولعدم ثبوت هذه المقدمة قال ابن تيمية رحمه الله: (أكثر العقلاء على خلافه، وقد قرر الرازي في موضع آخر أنها مختلفة لا متماثلة)[4].

فما سبق من الأجوبة لا يمكن الرد به على الملحد فهو إما خبر غيبي لا يؤمن به أصلا؛ سواء القدرة الإلهية أو أخبار النظائر الغيبية كالملائكة، أو نظير حسي في غير البشر لا يلزم من جوازه فيه جوازه على البشر.

---

(1) شرح العقيدة السفارينية (١/١٩٥).

(2) تفسير الرازي (٢٠/٢٩٣-٢٩٥) بتصرف.

(3) درء تعارض العقل والنقل (٤/١٧٦).

(4) نفسه (٣/٧٨).

بقي أمامنا النظر في أصل الدعوى وهو استحالة وقوع الحادثة، بسبب السرعة الفائقة المخالفة للمعهود في زمانهم، والمتاح من آلاتهم، فيقال إن أصل اختصار الزمن باستعمال وسائل أكثر تطورا ليس مستحيلا، بل هو الواقع حتى في زمانهم، فمثلا السفر بالبريد الذي يشمل مواصفات خاصة في المسافر من اللياقة البدنية العالية، وآلة السفر المتطورة وهي الخيول المدربة، وخطة سير محكمة بتقسيم السفر إلى مسافات قصيرة يتم بعد كل بريد تغيير آلة (الخيل) بأخرى، وتوفير وسائل راحة قصيرة للمواصلة، لا يمكن أن تكون المدة التي تقطع بهذه المواصفات هي مدة القوافل بالإبل التي تستغرق شهرين كما ذكر أبو جهل ومن معه.

وهذا الأمر شهد تطورا ملحوظا في عهد الدول الإسلامية اللاحقة، وهو زمن قريب جدا من واقعة الإسراء والمعراج، اختصر زمان أسابيع إلى أيام، فبلغ البريد بين دمشق الشام والقاهرة (حوالي ١٧٠٠كم) في بعض الفترات إلى مرتين في الأسبوع، يعني تقطع المسافة في حدود ثلاثة أيام[1]، بمعدل ٥٠٠ كم يوميا، فهذا أمر محسوس لا غيب فيه اختصر زمن نفس المسافة من شهرين إلى أسبوع تقريبا، فإذا كان مبدأ الاختصار صحيحا، يبقى النظر في الوسيلة ومدى قدراتها، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ بذكره للبراق، أما كنه السير وحقيقته فهي أمور غيبية، معقولة المعنى، مجهولة الكيفية والكنه.

فلو أن محمدا ﷺ أخبر بأنه سرى بنفسه وبنفس الوسائل التي يستعملها أهل عصره وبنفس سرعتهم لكان لإنكارهم وجه، أما وقد ذكر آلة ووسيلة هي البراق، فقد خرج الأمر من الاستحالة إلى الغرابة والتحيير، لعدم الوقوف على حقيقته وكنهه، فمن قطع مثلا مسافة على سيارة في ربع ساعة، لا يقال له كيف فعلت ذلك وأنا أقطعها على قدميَّ في ساعة أو ساعات، لأنها مقارنة غير صحيحة علميا بل مقارنة مع وجود فارق مؤثر.

فإن اقتنع بهذا الجواب فبها وإلا ظهر أن دعواه الاستحالة غير مسلمة، فقد اختصر الزمن في عصرنا بين مكة وبيت المقدس إلى ساعة أو ساعتين فقط، في طائرة بسرعة ١٠٠٠كم/ساعة، وكلما كانت أكثر تطورا كانت المدة أقل.

---

(1) البريد في العصور الإسلامية (ص٢٢)، د.عبد صالح تدريسي، نظام البريد وتطوره في الدولة الإسلامية، د.محمد سعيد بوحليقة.

الصنف الثالث: أهل الكتاب الذين يؤمنون بالأنبياء ومعجزاتهم: وهؤلاء الأمر معهم هيِّن؛ لإيمانهم بنظير ما وقع للنبي ﷺ،قال الشيخ محمد رحمت الله الهندي: (صعود الجسم العنصري إلى الأفلاك ليس بممتنع عند أهل الكتاب)[1]، ثم نقل نصوصا من الكتاب المقدس عندهم في ذلك[2]، وأكدها بنقل شرح لها عن آدم كلارك حيث يقول: (لا شك أن إليا رفع إلى السماء حيا)، ثم قال: (هذه الأمور مسلمة عند المسيحيين، فلا مجال للقسيسين أن يعترضوا على معراج النبي ﷺ عقلا أو نقلا)[3].

ومن طرائف ما أورده من الأجوبة، قوله: (نقل بعض الأحياء أن قسيساً في بلد بنارس من بلاد الهند كان يقول في بعض المجامع تغليطاً لجهال المسلمين البدويين: كيف تعتقدون المعراج وهو أمر مستبعد؟ فأجابه مجوسي من مجوس الهند: أن المعراج ليس بأشد استبعاداً من كون العذراء حاملة من غير زوج، فلو كان مطلق الأمر المستبعد كاذباً فهذا أيضاً يكون كاذباً فكيف تعتقدونه؟ فبهت القسيس)[4].

---

(1) إظهار الحق (١٠٢٣/٤).

(2) منها صعود النبي إلياس عليه السلام وهو المسمى عندهم إليا، سفر الملوك الثاني، تحت عنوان: إيليا يصعد إلى السماء.

(3) إظهار الحق (١٠٢٥/٤).

(4) إظهار الحق (١٠٢٦/٤).

الفصل الثاني: المعراج

المبحث الأول: تحديد المحال والمحير في القصة.

بعدما وصل النبي ﷺ إلى بيت المقدس على دابة البراق، عُرج به منها إلى السماء، في رحلة سماوية بعد الرحلة الأرضية، كانت أعجب وأعظم وأكثر تحييرا؛ فالخارق للعادة أكثر غرابة، والآلة المستعملة فيه أشد إيغالا في الغيبية، فالسرعة في قطع المسافة الأرضية الكبيرة في الزمن اليسير بما يخالف المعروف المعتاد في زمانهم، أضيف لها خرق قانون الجاذبية والخروج من الغلاف الجوي؛ وما فيه من المحارات العقلية، فالمسافة قد تضاعفت بسنين ضوئية، والقدرة على تحمل ظروف مناخ الرحلة وتغيراته كالضغط الجوي وانعدام الأكسجين وما إلى ذلك تجاوزت المقدور البشري، لكن النبي ﷺ – كما سبق في الإسراء –لم يخبرهم بشيء تحيله العقول؛ حيث إن روايات القصة تدور على أحد أمرين إما أن العروج تم على البراق نفسه، أو أنه تم على آلة أخرى أشد غرابة وتحييرا منه؛ فالآلة حاضرة في القصة دائما وهي تنفي وتمنع أي اعتراض عقلي يمنع الإمكان العقلي؛ لأن الموانع المذكورة في حق الجسد وحدود طاقته، يزول إشكالها إذا علم أن الجسد كان في آلة محمولا عليها، فالموانع المذكورة يجب أن تنصرف إلى الآلة لا إلى الجسد المحمول عليها، فلو قال قائل مثلا صعدت إلى السماء على متن صاروخ كما يشاهد اليوم من رواد الفضاء، لا يمكن لعاقل أن يورد موانع الصعود الثابتة يقينا على الجسد المجرد؛ لأن الواقع أن رائد الفضاء لم يذهب بجسده المجرد، بل بآلة معدة لذلك مخصصة لمثل هذه الرحلات، وقام بتدريبات خاصة في مدد معينة من الزمن، كل ذلك جعله مؤهلا لمثل هذا الأمر العجيب، الذي أصبح مع مرور الزمن أمرا اعتياديا لا يجد الناس صعوبة في التصديق به، بل إن منكره قد يتهم في عقله وسلامته.

وللعلماء فيما عرج عليه النبي ﷺ أقوال تجتمع في أنه عُرج به ولم يعرج هو بنفسه.

القول الأول: أن عروج النبي ﷺ كان على البراق، ذكر ابن حجر رحمه الله أنه مقتضى كلام ابن أبي جمرة: (القدرة كانت صالحة لأن يصعد بنفسه من غير براق، ولكن ركوب البراق كان زيادة له في تشريفه؛ لأنه لو صعد بنفسه لكان في صورة ماش، والراكب أعز من الماشي)، ثم علق على كلامه لاحقا فقال: (قوله: "**حتى أتى السماء الدنيا**" ظاهره أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء، وهو مقتضى كلام

ابن أبي جمرة المذكور قريبا)[1]، وزاد الصالحي أنه كذلك مقتضى كلام ابن دحية فقال: (هو مقتضى كلام ابن أبي جمرة وابن دحية)، ونقل عن ابن كثير رحمه الله قوله: (لم يكن الصعود على البراق كما قد توهّمه بعض الناس، بل كان البراق مربوطا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة)[2].

وقد أجاب العلماء عن هذا الظاهر بعدة أجوبة:

الجواب الأول: أن هذا الظاهر معارض بروايات أخرى صريحة في كون العروج على كان على المعراج؛ قال ابن حجر: (في غير هذه الرواية من الأخبار أنه لم يكن على البراق، بل رقى المعراج وهو السلم، كما وقع مصرحا به في...)[3].

الجواب الثاني: أن البراق كان مربوطا ببيت المقدس حتى يعود عليه النبي ﷺ إلى مكة، قال ابن كثير: (لم يكن الصعود على البراق كما قد توهّمه بعض الناس، بل كان البراق مربوطا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة)[4].

الجواب الثالث: أن الحديث روي مختصرا فأوهم هذا الأمر؛ قال القسطلاني: ("**فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا**" فيه حذف صرح به البيهقي في...)[5].

القول الثاني: أن عروج النبي ﷺ كان على المعراج، واستدلوا بمجموعة من مرويات حديث الإسراء والمعراج، قال ابن حجر رحمه الله: (رقى – يعني النبي ﷺ – المعراج وهو السلم، كما وقع مصرحا به في حديث أبي سعيد عند ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل، ولفظه: "...**ثم أتيت بالمعراج**"[6]، وفي رواية ابن إسحاق[7]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج فلم أر قط شيئا كان أحسن منه وهو الذي يمد إليه الميت عينيه إذا حضر فأصعدني صاحبي فيه حتى**

---

(1) فتح الباري (٧/٢٠٦-٢٠٨).

(2) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/١١٦)، السيرة النبوية لابن كثير (٢/٩٩).

(3) فتح الباري (٧/٢٠٨).

(4) السيرة النبوية لابن كثير (٢-/٩٩).

(5) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٦/٢٠٤).

(6) أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/٢٨٣)، وابن جرير الطبري (١٧/٣٤٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٩٠)، جمعيهم من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري ﷺ، والعبدي هذا قال عنه الحافظ: (مشهور بكنيته، متروك، ومنهم من كذبه، شيعي)، تقريب التهذيب (ص٤٠٨).

(7) لم أجده في السير والمغازي المطبوع، ونقله عنه بسنده ابن هشام في السيرة النبوية (١/٤٠٣)، وسنده معضل؛ قال ابن إسحاق: (حدثني **من لا أتهم** عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ).

انتهى بي إلى باب من أبواب السماء" الحديث، وفي رواية كعب[1]: "**فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج هو وجبريل**"، وفي رواية لأبي سعيد في شرف المصطفى[2]: "**أنه أتي بالمعراج من جنة الفردوس وأنه منضد باللؤلؤ وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة**")[3].

وهذه المرويات كلها لا تخلو من مقال وتضعيف، والمعراج هنا أمر غيبي لا يمكن الجزم به دون صحة السند؛ ولهذا قال الشيخ عبد الرحمن البراك معلقا على قول الطحاوي: (والمعراج حق): (ليس المراد هو إثبات الآلة أو الوسيلة التي عرج بها النبي ﷺ؛ بل إثبات عروج النبي ﷺ...لكن صار لفظ (المِعراج) عَلَم على هذا الأمر...وقد جاء ذِكرُ صفات المِعْراج في أحاديث؛ **لكن الغالب أنها ليست من الأحاديث المعتمدة**)[4].

قلت: المعراج بمعنى المصعد الذي يصعد به إلى السماء ثابت في نصوص الشرع، وثابت أن الملائكة تصعد فيه إلى السموات، قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج:٣-٤]، قال القرطبي: (﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾، أَيْ: تَصْعَدُ فِي الْمَعَارِجِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُمْ)[5]، وهذه المصاعد تعرج فيها الملائكة وغيرها؛ قال ابن كثير: (يحتمل أن يكون المراد به جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم؛ فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء.... وفي الحديث...: «**فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله**»)[6]، قال ابن الجوزي: (قوله عز وجل: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾؛ فيه قولان:

أحدهما: أنها السموات، قاله ابن عباس، وقال مجاهد: هي معارج الملائكة، قال ابن قتيبة: وأصل «المعارج» الدرج، وهي من عرج: إذا صعد، قال الفراء: لما كانت

---

(1) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٢٢٦/٥).

(2) لم أجدها في المطبوع من كتابه، والمقصود بأبي سعيد هو النيسابوري صاحب الكتاب، وليس الصحابي أبا سعيد الخدري ﷺ.

(3) فتح الباري (٢٠٨/٧)، ونفس الأدلة نقلها القسطلاني في إرشاد الساري (٢٠٤/٦)، والعيني في عمدة القاري (٢٥/١٧).

(4) شرح العقيدة الطحاوية (ص١٤٦).

(5) الجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨).

(6) تفسير ابن كثير (٢٣٥/٨)، وقد تردد في الجزم بصحة الحديث، لكن أورده الألباني في الصحيحة وصححه على شرط البخاري ومسلم موافقا للحاكم والذهبي.

الملائكة تعرج إليه، وصف نفسه بذلك، قال الخطابي: المعارج: الدرج، واحدها: معرج، وهو المصعد، فهو الذي يصعد إليه بأعمال العباد، وبأرواح المؤمنين، فالمعارج: الطرائق، أي: يصعد فيها.

والثاني: أن المعارج: الفواضل والنعم، قاله قتادة)[1].

قلت: يلاحظ في كلام ابن الجوزي رحمه الله أن تفسير المعارج بالسموات أو بالدرج لا تنافي بينهما؛ فهو قول واحد وساقه مساقا واحدا؛ لأن الدرج أو المرقى أو المصعد هي تفصيل لكيفية انتقال الملائكة في السموات صعودا فيها حيث يريد الله، وإذا كانت هذه المعارج وهي المصاعد والمراقي والدرج، التي تصعد وترقى فيها الملائكة وغيرها في السماء، والنبي ﷺ عرج به إلى السماء، وكان عروجه رفقة جبريل يقينا، كما نصت الأحاديث الصحيحة، فذلك يعني أنه عرج به على هذه المصاعد والمراقي بمعية جبريل عليه السلام، ولا ينافي ذلك القول بأنه كان على البراق عند من ترجح له ذلك؛ لأن الجميع سيكون عارجا إلى السماء عبر تلك المدارج والمعارج والله أعلم.

يزيد هذا الأمر وضوحا أن السماء ليس فضاء مفتوحا فوضويا ومتاهة بلا معالم، بل محكمة البناء، معلومة المعالم، محددة الطرق والمسارات، ولهذا أقسم الحق سبحانه وتعالى بها فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧﴾ [الذاريات:٧]، وللعلماء في الحبك أقوال متقاربة لا يكذب بعضها بعضا؛

فذهب بعض أهل العلم، إلى أن الحبك جمع حبيكة أو حباك، وعليه فالمعنى ذات الحبك أي ذات الطرائق، فما يبدو على سطح الماء الساكن أو الرمل من الطرائق إذا ضربته الريح هو الحبك، وهو جمع حبيكة أو حباك، قالوا: ولبعد السماء لا ترى طرائقها المعبر عنها بالحبك...وممن نقل عنه هذا القول الكلبي والضحاك – ثم أقوالا أخرى وقال –... **والآية تشمل الجميع، فكل الأقوال حق**)[2].

القول الثالث: عدم الجزم بآلة العروج، وذلك استنادا إلى عدم صحة الآثار الواردة في المعراج كما سبق، وحمل أحديث العروج بالبراق على الاختصار والحذف كما سبق، لكن يمكن الاستدراك عليه بالاستنباط السابق بأن المصعد هو طريق جبريل والملائكة

([1]) زاد المسير (٣٣٦/٤).

([2]) أضواء البيان (٤٣٧/٧-٤٣٨) بتصرف.

وغيرهم إلى السماء، والنبي ﷺ كان برفقة جبريل عليه السلام، فيكون قد عرج به في هذه المصاعد والله أعلم.

المبحث الثاني مواصفات الآلة التي عرج النبي ﷺ فيها.

إن الكلام على الإمكان العقلي لمعراج النبي ﷺ يكمن في بيان أنه لم يتم بطريقة يحيلها العقل؛ لأن النبي ﷺ ذكر أنه عُرج به؛ وسواء كان عروجه بواسطة البراق، أم على الدرج، أم بغير ذلك لكنه ﷺ في كل الروايات التي وردت في هذه القصة العجيبة نسب العروج لغيره وأنه ﷺ كان معروجا به؛ حيث نسب العروج لله كما في لفظ "عرج بي ربي"[1]، أو لجبريل عليه السلام في لفظ: "ثم أخذ بيدي – يعني جبريل – فعرج بي إلى السماء..."[2]، أو لما لم يسم فاعله كما في لفظ: "ثم عرج بنا"[3]، قال الملا علي القاري: ("**ثم عرج**": بفتح العين والراء على ما ذكره النووي، وتبعه السيوطي؛ فالفاعل جبريل، أو الرب الجليل لقوله: "**بنا**"، أي: بي وبجبريل، ويمكن أن يكون قوله: (بنا) بناء على التعظيم، **وفي نسخة بصيغة المجهول**، أي: صُعد بنا)[4]، وفي كل ما سبق لم ينسب الفعل لنفسه عليه الصلاة والسلام.

والشريعة لا تأتي بتفاصيل الغيب وطرق حدوثه؛ لأنه سيتحول إلى عالم الشهادة، ويتحول من أمر غيبي محير يختبر الناس بالإيمان به، إلى أمر عادي يستوي في تصديقه كل الناس، ولكن يوجد في الشريعة عند التأمل ما يمنع إحالة العقل، ومن ذلك هذه الإشارات التي مفادها أن النبي ﷺ، كان محمولا معروجا به.

وقد سلك الناس في الإمكان العقلي للمعراج مسالك شتى:

المسلك الأول: بيان الإمكان العقلي وإرجاعه إلى القدرة الإلهية؛ وقد سبقت نصوص كثيرة عن علماء الإسلام المتقدمين مفادها صلاحية القدرة الإلهية أو أن القدرة صالحة لذلك؛ ومشى على طريقهم بعض من يعتني بالإعجاز العلمي من المعاصرين، ومنهم الدكتور زغلول النجار؛ حيث قال في الدرس الأول للإسراء والمعراج: **(الإيمان بطلاقة القدرة الإلهية** التي لا تحدها حدود والتي أسرت برسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى بيت المقدس, ثم عرجت به إلى سدرة المنتهى عبر السموات السبع...فقد

---

(1) أخرجها أحمد في المسند (٥٣/٢١)، وقال محققوه: (صحيح على شرط مسلم).

(2) متفق عليه من حديث أبي ﷺ، البخاري ؛ (٣٣٤٢)، مسلم ح (٢٦٣).

(3) أخرجها مسلم من حديث أنس ﷺ، ح (٢٥٩).

(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩٧٦٥/٩).

أوقف الله تعالى له الزمن، وطوى المكان، ولا يقدر على ذلك إلا رب العالمين، وهنا يجدر التأكيد على أن كلا من الزمان والمكان هو من خلق الله, وأن الله تعالى قادر على إيقاف الزمن, وعلى طيِّ المكان لمن يشاء من عباده)[1]، وقبله الشيخ محمد الشعراوي حيث قال: (الإمكان العقلي موجود بإسناد الفعل إلى الحق سبحانه وتعالى، وإبعاد محمد عن مدار النقاش؛ فيكون محمد "مصاحبا" لا علاقة له بالفعل)[2]، وهذا المسلك مفيد مع أهل الكتاب عموما، لا سيما وأنهم يؤمنون بنظير هذه الخوارق، كما سبق ذكر.

لكن هذا المسلك فيه أمران:

الأمر الأول: أنه لا يجيب الملحد لعدم إيمانه بالله أصلا.

الأمر الثاني: أن إرجاع الأمر إلى القدرة الإلهية لا شك في صحته؛ لكن السؤال: هل هذا الأمر – الإسراء والمعراج – من قبيل المستحيل الذي لا تتعلق به القدرة، أم هو من قبيل الممكن الذي تتعلق به القدرة؟ فالجواب بهذه الطريقة وبهذا القدر لا يزيل الإشكال والله أعلم.

المسلك الثاني: إنكار الإمكان العقلي؛ ويمثل هذا المسلك الاتجاه الإلحادي قديما وحديثا[3]؛ وجواب المسلك الأول لا ينفع معهم لإنكارهم وجود الرب أصلا؛ بل لإنكارهم إمكان الحادثة أصلا لما فيها من المحالات العقلية السابق ذكرها حسب زعمهم.

المسلك الثالث: الاستعانة بالنظريات العلمية الحديثة لبيان الإمكان العقلي، قال الدكتور كارم غنيم: (إذا قلنا بتحول جسد الرسول ﷺ – وهو مادة – إلى ضوء – وهو طاقة – أو ما هو أعلى من الضوء، حتى يخترق آفاق الكون وما بعد الكون في ساعات قليلة بحسابنا البشري، فإننا بذلك نكون قد **قدمنا اقتراحا لتقريب مفهوم الحدث،** وإن كنا لا نجزم بما نقترحه)[4]، وأيده عالم الفضاء المصري الذي يعمل في ناسا فقال: (إن سرعة

---

(1) موقع الدكتور زغلول النجار، http://www.elnaggarzr.com مقال بعنوان: من أسرار القرآن.

(2) الإسراء والمعراج (ص١٤)، وكثير من المعاصرين اقتبس منه مناقشاته العقلية للإسراء والمعراج.

(3) سبق إيراد نقولات عمن أنكر الإسراء والمعراج قديما، وأما حديثا فمواقع الملحدين لا تفوّت أي فرصة لردّ الدين وإيراد الشبهات والإشكالات عليه، بل الاستهزاء بحملته ونبيه وكل المعتقدات فيه، من ذلك موقع شبكة الإلحاد العربي، فقد طرح في أحد منتدياته الموضوع للنقاش بعنوان النظرية النسبية لأنشتاين وحادثة الإسراء والمعراج، وكثير من المدونات ومواقع الفايسبوك تثير هذا الأمر وكلٌ يذكر ما عنده من شبهات خلاصتها استحالة هذه الحادثة عقلا.

(4) موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقال بعنوان: معجزات الإسراء والمعراج من منظور علمي، للدكتور كرام غانم، وهو: أستاذ بكلية العلوم جامعة الأزهر، أمين جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

رسول الله الفضائية رغم أنها كانت لا نهائية أي إنها فاقت سرعة الضوء وهي (٣٠٠٠٠٠كم/ث) إلا أن رسول الله ﷺ كجسد بشري، احتفظ بكل صفاته البشرية دون تغير، وبما أننا قد ارتقينا إلى قانون الله وقدرته فهو **وحده القادر على تعطيل القانون أو تبقى وأن تجري بقية قوانين الكون دون تعطيل أو تفارت)**[1].

وهذا المسلك عليه مأخذان:

المأخذ الأول: مأخذ شرعي؛ خلاصته أن تفسير الحادثة الغيبية بالنظريات العلمية هو تفسير لما حدث في عالم الغيب، والله يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦]، والعجيب أن هذه الآية في سورة الإسراء نفسها؛ فكيف نفسر شيئا غيبيا بمعايير عالم الشهادة والله لم يخبرنا بذلك فهذا تحكّم وقول بلا علم.

المأخذ الثاني: مأخذ علمي، خلاصته أن النظريات العلمية قد تجيب على جانب ولا تجيب على جوانب أخرى، هذا من جهة، ومن جهة أخر أن النظريات العلمية قد تحمل إشكالات لا تجيب على أصل الاعتراض بل تبقيه أو تزيده، فبالنظر لجسد النبي ﷺ ومدى تحمله وقدرته على مواجهة مختلف الظروف المناخية لهذه الرحلة العظيمة، فهذه النظرية ولو قرَّبت تفسير هذه الحادثة بسرعة الضوء؛ وجعلت أمر المسافات المذهلة والوقت الذي تقطع فيه أمرا قريبا إلى التصور، لكنها لا تجيب عن هذه الإشكالات بل تزيدها إشكالا، فهي تتضمن أن الشيء إذا بلغ سرعة الضوء تحوَّل إلى طاقة، وهذا مع حالة النبي ﷺ في معراجه كبقائه على حالته الجسدية بدلالة الرؤية والسؤال والمحادثة وغير ذلك مما ورد في القصة، وهذه مخالفة للنص صراحة، فيبقى أن بلوغ هذه السرعات الهائلة وتحدي تلك الظروف الفضائية مع سلامة الجسد منها أمرا مشكلا فهل الله سبحانه وتعالى يأمرنا بتصديق المستحيل؟ وهل الحادثة من قبيل المستحيل؟.

المسلك الرابع: اعتماد نصوص صريحة غير صحيحة، وأخرى صحيحة لكن غير صريحة، فنتج عن هذا المسلك اعتقادات في النبي ﷺ لا دليل عليها، أضف إلى ذلك الخلط بين ما هو صحيح علميا بما يحتاج إلى دليل، وقد تبنى هذا المسلك الشيخ الشعراوي في كتابه الإسراء والمعراج فقال: (رسول الله ﷺ في هذه المسألة تعرض لثلاث مراحل:

---

(1) حين توقف الزمن (الأسرار العلمية في الإسراء والمعراج) د.حامد العلي (ص٣٠).

المرحلة الأولى: كان بشرا.....

المرحلة الثانية: لكنه لما صعد إلى السماء...تحول شيء في ذاتية محمد...انتقل إلى مرحلة يكون فيها ملائكيا كالملائكة يراهم ويتلكم معهم ويخاطبهم ويفهم.

المرحلة الثالثة: ...ارتقى ارتقاء آخر ونقل من ملائكية لا قدرة لها على ما وراء سدرة المنتهى إلى شيء ممكن أن يتحمل إلى ما وراء سدرة المنتهى دون مصاحبة جبريل عليه السلام ...حتى إن جبريل نفسه يقول له: "**أنا لو تقدمت لاحترقت، وأنت لو تقدمت لاخترقت**"[1]....فثلاثة أشياء حدثت لمحمد؛ **بشرية في الأرض** معهودة بالمدد، وبعد ذلك **ملائكية في السماء** قبل سدرة المنتهى، ثم بعد ذلك **ملائكية فوق الملائكية**، وهي التي كانت بعد سدرة المنتهى...يتعرض فيها إلى خطاب الله...)[2].

فخلط الشيخ الشعراوي رحمه الله بين ما لم يثبت عن النبي ﷺ في الاحتراق والاختراق، وبين ما ثبت من الإعداد الجسدي عن طريق حادثة شق الصدر، فجاء بعبارات لا دليل عليها، وتقسيمات لا تعرف عن أحد قبله.

المسلك الخامس: بيان الإمكان العقلي بإبطال أصل الشبهة، دون الخوض في تفاصيل الكيفية.

فالملحد يكفي أن يذكر له أن النبي ﷺ أحال على شيء يجعل الحادثة في حدود الممكن الذي لا يملك عاقل دليلا على امتناع وقوعها سوى الاستبعاد وعدم جريان العادة وعدم العلم بتحققها في حدود العلم الآني، وكما هو متفق عليه بين العقلاء أن **عدم العلم بالشيء ليس علما بالعدم** وما دام العقل يثبت إمكان الصعود إلى السماء عبر آلة فأصل الإمكان موجود، فلا مبرر لإنكار تفاصيله بمجرد أن ذلك غير ممكن وفق المتوفر من الآلات في زمن ما؛ لأن العلم يتطور باستمرار، وهذا الواقع فمجرد الطيران في وقت النبي ﷺ كان مستحيلا بمعاييرهم؛ وانتظرت البشرية ألف عام تقريبا حتى تحول ذلك إلى أمر ممكن مرَّ عبر مخاض صعب من التجارب التي اتهم بعض أصحابها بالجنون ودفع البعض الآخر حياته ثمن التجربة المتعجلة، إلى أن صار أمرا عاديا يستعمله أغلب الناس في سفرهم بالطائرة، وبعضهم بما هو أكثر تطورا وجرأة

---

(1) قال شيخ حمود التويجري رحمه الله: (لم يرو هذا في شيء من الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ...ولم يذكر في هذا الحديث الصحيح ولا في غيره من الأحاديث الصحيحة أن جبريل وصل إلى مكان لا يستطيع أن يتقدم إليه...فهذا من القول على جبريل وعلى رسول الله ﷺ) السراج الوهاج لمحو أباطيل الشلبي عن الإسراء والمعراج (ص٤٠).

(2) الإسراء والمعراج (٢١-٢٢).

كالصاروخ، وكم من نظرية بقيت الوحيدة على الساحة العلمية ردهة طويلة من الزمن، ثم انقلب العلم عليها كليا أو جزئيا، فهل يمكن لعقل فيزيائي مثلا أن يتسمك بنظرية نيوتن في الفيزياء الميكانيكية القديمة للرد على نظرية آنشتاين في فيزياء الفضاء الحديثة، ويحيل هذه بقوانين تلك؟

ولذلك فإن الرحلة السماوية كالرحلة الأرضية فيها دلالات تنفي الامتناع العقلي، وإن كانت لا ترفع التحيير وخرق العادة؛ وبيان ذلك من جهة:

التغيرات الجسدية التي سبقت الإسراء والمعراج: وذلك أن النبي ﷺ أشار إلى أن حادثة الإسراء والمعراج سبقها تغيرات على مستوى جسده ﷺ، لم تخرجه عن بشريته وإنسانيته، خلاصتها حدث جليل يتمثل في حادثة شق صدره ﷺ؛ كما رواها أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: "**بينا أنا عند البيت بين النائم، واليقظان – وذكر: يعني رجلا بين الرجلين –، فأتيت بطست من ذهب، ملئ حكمة وإيمانا، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانا**"[1]، قال ابن حجر رحمه الله: (قوله: "**فُرج**" بضم الفاء وبالجيم، أي: فتح...يحتمل أن يكون السر في ذلك التمهيد لما وقع من شق صدره؛ فكأن الملك أراه بانفراج السقف والتئامه في الحال كيفية ما سيصنع به لطفا به وتثبيتا له والله أعلم، قوله: "**ففَرج صدري**" هو بفتح الفاء وبالجيم أيضا، أي: شقه...ذلك وقع مرتين...ومحصله أن الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التي قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك، **والشق الثاني كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة)**[2]، وهنا نلاحظ أن المخلوقات التي كلفت بمهمة الإسراء والمعراج مخلوقات عظيمة، ذات قدرات وخصائص عجيبة، وقد استعملت أشياء محددة كالطست من الذهب وماء زمزم خاصة، وحشت عروق النبي ﷺ إيمانا وحكمة، والنبي ﷺ كان في حاجة لإعداد جسدي وروحي وإيماني لهذه الرحلة وأحداثها، وهو ما حصل بواسطة هذه المخلوقات التي أرته كيف استطاعت شق سقف البيت ثم ردِّه لحالته والنبي ﷺ ينظر، ثم فعلت نظيره بجسده الشريف ﷺ، وقامت بتغييرات حسية نفهمها ونستوعب معانيها، وإن كنا نعجز عن إدراك تفاصيلها وكنهها وحقيقتها بمعاييرنا البشرية القاصرة، لكن المقصود أن مبدأ

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري ح (٣٢٠٧)، ومسلم من حديث أنس ﷺ، ح (٢٦٤).

(2) فتح الباري (٤٦٠/١).

تغير ظروف الرحلة ومدى استعداد جسد النبي ﷺ لذلك يوجد في القصة ما يجيب عنه بأنه ﷺ أُعدَّ لها إعدادا خاصا سيمنع تلك المؤثرات الحسية والمعنوية وغير ذلك، قال ابن حجر: "يحتمل أن تكون الحكمة في انفراج سقف بيته الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره، وأنه **سيلتئم بغير معالجة يتضرر بها**، وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من **الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته؛ لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك)**[1].

فإذا كانت السنن الكونية والظواهر الطبيعية لا يمكن خرقها في وضعها الطبيعي لسيرها وفق قانون طبيعي منضبط، فهذا لا يمنع من وقوع ذلك إذا تعرضت لمؤثرات وموانع تمنع العادة من فعل فعلها الذي كان في الوضع الأول، قال ابن تيمية رحمه الله – مبينا سبب إنكار المعراج –: **(ومن أنكر صعود بدن إلى السماء من المتفلسفة فعمدته شيئان:**

أحدهما: أن الجسم الثقيل لا يصعد، وهذا في غاية الضعف؛ فإن صعود الأجسام الثقيلة إلى الهواء مما تواترت به الأخبار في أمور متعددة، مثل عرش بلقيس...فإذا كان قبل هذه الحركات المشهودة حركات أخر لأجسام غير هذه الأجسام المشهودة، لم يكن هذا مناقضا لما دل عليه العقل، ورجال كثير في زماننا وغير زماننا يحملون من مكان إلى مكان في الهواء، وهذا مما تواتر عندنا وعند من يعرف ذلك.

وأيضا فمعلوم أن النار والهواء الخفيف تحرك حركة قسرية فيهبط، والتراب والماء الثقيلان يحركان حركة قسرية فيصعد، وهذا مما جرت به العادة)[2].

فجواب شيخ الإسلام يؤكد أمرين أن **ما لا يمكن لمخلوق فعله يمكن لغيره فعله**، كما **يمكن للعاجز الاستعانة بالقادر على فعل ما يعجز عنه بمفرده**، كقصة عرش بلقيس وغيرها، وهذا يمنع الاستحالة العقلية، وهو نافع لأهل الكتاب عموما كما سبق.

ووجه آخر مهم جدا أن المخلوقات التي تمتاز بخصائص معينة كالخفة في النار والهواء التي توجب طبيعتها عليهما الصعود والارتفاع، والثقل في الماء والتراب الذي توجب طبيتها عليها النزول والسفل، يمكن قلب هذه الخصائص الذاتية الجسمية لضدها بفعل المؤثرات الخارجية (سواء كانت مثيرات ومتغيرات أو موانع تمنع الطبيعة من

([1]) فتح الباري (٢٠٥/٧).

([2]) الجواب الصحيح (١٧٩/٦).

فعل عملها المعتاد في ظروفها العادية)، وهو ما سماه بالحركة القسرية، وهذا مبدأ فيزيائي كبير في تحويل الغازي إلى سائل ثم إلى صلب والعكس بفعل الحرارة والبرودة مثلا، وتغير خصائصه الفيزيائية من الخفة إلى الثقة ومن الصعود إلى النزول والعكس، وهذا الوجه ينفع مع الملحد؛ لأنه بيَّن الإمكان دون الاستناد إلى النص الشرعي، ولكن ببيان أن الخصائص الطبيعية ليست حاضرة في كل الأحوال ولكن إذا تغيرت بمؤثرات محددة يمكن تغير خصائصها وهذا شيء عقلي.

ومن هنا كان جواب الملحد هو أن خطأه في تعميم ما يراه متحققا في جزئية معينة، على جميع الحالات ولا ينظر إلى اختلاف الحالات باختلاف ظروفها، قال شيخ الإسلام: (عامة أدلتهم، إنما تدل على شيء مطلق، لكن **يعينونه بلا حجة فيغلطون في التعيين**)[1]، ويظهر لي أن هذا مربط الفرس في الجواب، وهو في مناقشة انطباق قانون البشر على هذه الحالة المعينة، فقوانين الطبيعة تمنع العروج بالجسد المجرد من جهتين:

الأولى: من جهة تحمل الكتلة المسافرة للظروف الطارئة.

الثانية: من جهة استحالة قطع تلك الكتلة للمسافات الهائلة، التي أقل حدودها الممكنة سرعة الضوء.

وخلاصة جواب هذين الإشكالين عقلا ما يلي:

الأول: جهة التحمل يجاب عنها بالموانع المانعة وتشير لها في القصة حادثة شق الصدر.

الثاني: جهة قطع المسافة يجاب عنها بالآلة التي عرج به ﷺ عليها.

فوجود موانع تمنع فعل الطبيعة، ووجود آلة تتحدى قوانين الطبيعة، يجعل الجزم باستحالة الحادثة ضربا من المستحيل، وقولا بلا علم، وجزما بلا يقين.

وهذا نظير ما يفعله رواد الفضاء قبل رحلتهم الفضائية المزمعة من تدريبات قاسية لمحاكاة البيئة الجديدة التي سيذهبون لها، فلا يوجد الآن من ينكر السفر للفضاء من حيث المبدأ بسبب انعدام الأكسجين أو انعدام الجاذبية أو قوة الضغط الجوي أو عكسه، بسبب الأسباب المتخذة لتفادي كل ذلك سواء باتخاذ موانع عمل تلك التأثيرات على

---

(1) الجواب الصحيح (١٨٠/٦).

جسم الرائد من البدلات الخاصة والمركبات الخاصة، أو بالتأقلم على البيئة الجديدة بتغيير نمط الأكل والشرب والتعود على انعدام الجاذبية في بيئات اصطناعية مماثلة.

كما لا يوجد من ينكر الوصول إلى المسافات الساحقة في الفضاء بناء على معايير وسائل النقل القديمة.

وهذا المطلوب عند مناقشة هذا الصنف الذي لا يؤمن بالله ببيان أن ما يعارض به النقل ليس مستحيلا في ذاته وإن كان عقله لا يتصوره، قال شيخ الإسلام: (يجب الفرق بين ما **يعلم العقل بطلانه وامتناعه**، وبين ما **يعجز العقل عن تصوره ومعرفته**؛ فالأول: من محالات العقول، والثاني من محارات العقول، والرسل يخبرون بالثاني، وأما الأول: فلا يقوله إلا كاذب)[1].

ومن هنا فإن وظيفة العالم الشرعي حسن الاستدلال، وسلوك الطريق السوي بالمنهج العلمي الصحيح سواء كان شرعيا بضوابطه، أم عقليا وتجريبيا وفق ضوابطه كذلك ومنهجيته العلمية الصحيحة، دون تحميل أحدهما ما لا يحتمل أو أكثر مما يحتمل، قال شيخ الإسلام: (كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول، وأن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيراً من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا...فإنه **من احتج بلفظ ليس بثابت عن الرسول، أو بلفظ ثابت عن الرسول وحمله على ما لم يدل عليه فإنما أتي من نفسه**، وكذلك **العقليات الصريحة إذا كانت مقدماتها وترتيبها صحيحاً لم تكن إلا حقاً** لا تناقض شيئاً مما قاله الرسول)[2].

وقال: (**كل ما وجد في العالم من خوارق العادات: آيات الأنبياء، وغيرها لم يأت منها شيء إلا بأسباب تقدمته**...وكل ما خلقه الله فلا بد **أن يخلق لوازمه، ويمتنع أضداده، وإلا فيمتنع وجود الملزوم دون اللازم، ويمتنع اجتماع الضدين، وليس للعباد اطلاع على لوازم كل مخلوق ولا أضداده المنافية لوجوده؛ فالجزم بإمكان وجوده بدون العلم بلوازمه وإمكانها، وأضدادها وانتفائها جهلٌ**، والله سبحانه قادر على تغيير ما شاءه من العالم، وهو يشق السماوات، ويسير الجبال، ويبسها بسًّا فيجعلها هباء منبثا، إلى أمثال ذلك مما أخبر الله به، **كما يخلق سائر ما يخلقه بما ييسره من الأسباب**)[3].

---

(1) الجواب الصحيح (٣٩١/٤)، وانظر بيان تلبيس الجهمية (٣٦١/٢).

(2) مجموعة الرسائل والمسائل (٦٥/٣).

(3) الجواب الصحيح (٤٠٤/٦-٤٠٨) بتصرف.

فعندنا آلة وإعداد؛ فالآلة تمنع من الأضداد (المؤثرات الخارجية)، والإعداد يؤهل الجسد (للبيئة الجديدة).

فربط المعراج بالقدرة الإلهية فقط لا يجيب على الإيراد؛ من جهة أن القدرة لا تتعلق بالمستحيل لذاته، فإثبات قدرة الله المطلقة لا إشكال فيه، ولكن هل ما وقع ضمن متعلق القدرة، أم لا تعلق للقدرة به؟ وهذا ما أجاب الباحث عنه دون التوغل في النظريات العلمية الحديثة، وبيان إمكانية القصة من جهة ما تضمنته من إشارات عن الإمكان العقلي، تتلخص في وجود آلة وإعداد جسدي لهذه الرحلة العجيبة، وأن الملحد لا يمكنه إثبات الاستحالة في كل صورها، فقصارى ما عنده استقراء جزئي في حالة متيقنة لم يأت في الشرع ما يخالفها بل العكس، يريد تعميمه على كل الحالات بلا دليل.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وصلت لختام هذا البحث، وقد توصلت بعد هذا الجهد في دراسة هذه المعجزة العظيمة لما يلي:

أولا النتائج.

١-أن معجزة الإسراء والمعراج معجزة عظيمة، ولها شأن كبير.

٢-أن هذه القصة مهما كانت غريبة وعجيبة على عقول الناس فليس في العقول ما يحيلها.

٣-أن القصة نفسها حملت دلائل وإشارات تدل على الإمكان، ومراعاة حال البيئات المختلفة التي انتقل خلالها النبي ﷺ في رحلته.

٤-أن وجود الدابة والآلة في حالتي الإسراء والمعراج يجعل القول بالاستحالة أولى بالاستحالة من الحادثة نفسها.

٥-أن حالة جسد النبي ﷺ البشرية التي لا تتحمل ظروف الإسراء والمعراج جرى إعدادها تمهيدا لذلك بحادثة شق الصدر.

٦-أن الاعتماد على النظريات العلمية لتفسير معجزات النبي ﷺ مسلك غير سليم في الجملة؛ لأنها على فرض صحتها، قد تجيب على بعض الجوانب وتشكل عليها جوانب أخرى.

٧-أن معالجة قضايا موافقة العقل للنقل، لا يكون بذكر تفاصيل الإمكان وطرقه ونظائره، وحمل نصوص الشرع عليه، ولكن يكفي إثبات عدم صحة دعوى الاستحالة العقلية، ثم الإحالة في تفاصيله إلى الإيمان بالغيب.

٨-أن قاعدة عدم العلم بالشيء ليس علما بعدمه مهمة جدا في هذا المجال.

٩-أن عدم تفسير ظاهرة الإسراء والمعراج بالمعايير العقلية والعلمية، لا يمنع من بيان عدم استحالتها عقلا وعلما وإبراز أوجه ذلك قدر الإمكان.

ثانيا: التوصيات.

١-أوصي الباحثين بالتوسع في دراسة تفاصيل بعض المسائل العقدية المدروسة على وجه العموم.

٢-أن الإسراء والمعراج فيه بعض الآثار والأقوال التي تحتاج لزيادة تحرير.

٣-هناك نصوص في الإسراء والمعراج تحتاج لمزيد تدقيق وفحص.

فهرس المراجع

١-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، إشراف: محب الدين الخطيب، تعليق: الشيخ عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢-سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، الصالحي، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود، الشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣-السيرة النبوية، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة النشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٥ه-١٩٧٦م.

٤-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧: ١٣٢٣هـ.

٥-تفسير عبد الرزاق، الصنعاني، تحقيق: محمود عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٩هـ.

٦-جامع البيان في تفسير القرآن = تفسير ابن جرير، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧-دلائل النبوة زمعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي، تحقيق: د.عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٨-تقريب التهذيب، ابن حجر، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط١: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٩- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وغيره، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢: ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

١٠-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت.

١١-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢-شرح العقيدة الطحاوية، البراك، إعداد: عبد الرحمن السديس، دار التدمرية، ط٢: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٣-الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وغيره، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢: ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٤-تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير، ابن كثير، تحقيق: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١: ١٤١٩هـ.
١٥-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.
١٦-زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ.
١٧-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ١٩٩٥م.
١٨-مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، إشراف: د.عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٩-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١: ١٤٢٢هـ.
٢٠-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢١-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا القاري، دار الفكر، بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٢٢-موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقال بعنوان: معجزات الإسراء والمعراج من منظور علمي، للدكتور كرام غانم.
٢٣-حين توقف الزمن (الأسرار العلمية في الإسراء والمعراج) د.حامد العلي، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط١: ٢٠١٠م.
٢٤-الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق: علي حسن وغيره، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط٢: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٢٥-بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١: ١٤٢٦هـ.
٢٦-مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، تعليق: محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.
٢٧-الإسراء والمعراج ومسائل العقيدة فيهما، عمر بن صالح القرموشي، إشراف: د.أحمد بن عبد اللطيف العبد اللطيف، جامعة أم القرى.

٢٨-معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٩- تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١: ٢٠٠١م.
٣٠-الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وغيره، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١: ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٣١-مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٣٢-كتاب العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: د.مهدي المخزومي وغيره، دار وكتبة الهلال.
٣٣-جمهرة اللغة،ابن دريد،تحقيق:رمزي بعلبكي،دار العلم للملايين، بيروت، ط١: ١٩٨٧م.
٣٤-شرح كفاية المتحفظ (تحرير الرواية في تقرير الكفاية) محمد الفاسي، تحقيق: د.علي البواب، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية، ط١: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٣٥-معجم العربية المعاصر،د.أحمد مختار وفريق عمل،عالم الكتب،ط١: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٣٦-تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، ابن عثيمين، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، ط٣: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٣٧-تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣: ١٤٢٠هـ.
٣٨-النبوات، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٣٩-مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ١٤١٦هـ-١١٩٥م.
٤٠-الرد على الإخنائي = الإخنائية، ابن تيمية، تحقيق: أحمد العنزي، دار الخراز، جدة، ط١: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٤١-إظهار الحق، محمد رحمت الله الهندي، تحقيق: محمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١: ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
٤٢-شرح العقيدة السفارينية، ابن عثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١: ١٤٢٦هـ.
٤٣-البريد في العصور الإسلامية، د.عبد صالح تدريسي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد١٥، ٢٠١٣م، كلية الآداب، قسم التاريخ.
٤٤-نظام البريد وتطوره في الدولة الإسلامية، د.محمد سعيد بوحليقة، المجلة الليبية العالمية، كلية التربية المرج، جامعة بن غازي، العدد١٥، مارس ٢٠١٧م.